الطبعة الثانية

متن

الرسالة

تأليف

محمد بن سعيد الأندلسي حفظه الله





الرســـــالة

(الطبعة الثانية)

ربيع الأول ١٤٤٥ هـ

تأليف

محمد بن سعيد الأندلسي حفظه الله

الْحَمْدُ للهِ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، الَّذِي بَيَّنَ لَنَا الْأُصُولَ وَقَرَّرَهَا، وَفَصَّلَ الْحُجَجَ وَبَيَّنَهَا بِأَوْضَحِ دَلِيلٍ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، الَّذِي تَرَكَنَا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا الْهَالِكُ الْعَلِيلُ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مَضَوْا عَلَى سُنَّتِهِ وَاسْتَقَامُوا عَلَى هَدْيِهِ وَاسْتَضَاؤوا بِنُورِ التَّنْزِيلِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَهَذِهِ رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ، جَامِعَةٌ لِمُهِمَّاتِ الْأُصُولِ الْمُقَرَّرَةِ، حَاوِيَةٌ لِلدُّرَرِ الْمُنْتَثِرَةِ، حَرَّرْتُهَا بِأَيْسَرِ عِبَارَةٍ، وَضَمَّنْتُهَا أَوْضَحَ الْإِشَارَةِ، لِتَكُونَ لِمَنْ حَفِظَهَا الْحُجَّةَ وَالْمَنَارَةَ، أَلَّفْتُهَا عَلَى صِيغَةِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ، اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْأَوَّابِ، لِتَكُونَ أَوْقَعَ فِي النَّفْسِ وَأَوْفَقَ لِنَيْلِ الْحَقِّ وَتَحْرِيرِ الصَّوَابِ، وَأَرْجُو مِنَ اللهِ فِي ذَلِكَ وَافِرَ الْأَجْرِ وَجَزِيلَ الثَّوَابِ.

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: مَا حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ الَّذِي تَنَكَّبَتْ عَنْهُ جُمْلَةُ الْبَرِيَّةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ؟

فَقُلْ: الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة والاتِّباع، والبراءة مِنَ الشرك وأهله، وهذا الحد يقوم على ثلاثة أركان مَنْ لم يأت بها جميعًا لا يُسَمَّى مُسلمًا، وعموم الناس في هذا الزمان فاقدون لهذه الأصول لِتَلَبُّسِهم بشرك العبادة والطاعة والحاكمية والاتِّباع، مُفارِقون لدين الإسلام بدخولهم في دينٍ وضعي جديد وخضوعهم لنظام علماني قائم على الشرك والتنديد.

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: مَا مَعْنَى الِاسْتِسْلَامُ للهِ تَعَالَى؟

فَقُلْ: إنَّ الإسلامَ يقومُ على قاعدة الاستسلام لله بالعبودية والطاعة، قال الخليل الفراهيدي: "وَالْإِسْلَامُ: الِاسْتِسْلَامُ لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ الِانْقِيَادُ لِطَاعَتِهِ، وَالْقَبُولُ لِأَمْرِهِ" [١]، وقال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١]: "**وَأَقْبِلُوا إِلَيَّ مُذْعِنِينَ للهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالطَّاعَةِ**" [٢].

فالإسلام هو الاستسلام والخضوع والانقياد لأمر الله تعالى، قال الطبري: "وَأَصْلُ «الْإِسْلَامِ»: الِاسْتِسْلَامُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ «اسْتَسْلَمْتُ لِأَمْرِهِ»، وَهُوَ الْخُضُوعُ لِأَمْرِهِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ «الْمُسْلِمُ» **مُسْلِمًا بِخُضُوعِ جَوَارِحِهِ لِطَاعَةِ رَبِّهِ**" [٣]، وقال البغوي: "**وَالْإِسْلَامُ: هُوَ الدُّخُولُ فِي السِّلْمِ، وَهُوَ الِانْقِيَادُ وَالطَّاعَةُ**، يُقَالُ: أَسْلَمَ، أَيْ: دَخَلَ فِي السِّلْمِ، وَاسْتَسْلَمَ" [٤]. وقال ابن تيمية: "فَالْإِسْلَامُ يَتَضَمَّنُ الِاسْتِسْلَامَ للهِ وَحْدَهُ، **فَمَنِ اسْتَسْلَمَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ كَانَ مُشْرِكًا، وَمَنْ لَمْ يَسْتَسْلِمْ لَهُ كَانَ مُسْتَكْبِرًا عَنْ عِبَادَتِهِ**، وَالْمُشْرِكُ بِهِ وَالْمُسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَتِهِ كَافِرٌ، وَالِاسْتِسْلَامُ لَهُ وَحْدَهُ يَتَضَمَّنُ عِبَادَتَهُ وَحْدَهُ وَطَاعَتَهُ وَحْدَهُ، **فَهَذَا دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللهُ ﷻ دِينًا غَيْرَهُ**" [٥].

---

[١] العين (٢٢٦/٧)

[٢] تفسير الطبري (٤٥٣/١٩)

[٣] تفسير الطبري (٥١٠/٢)

[٤] تفسير البغوي (٤٢١/١)

[٥] مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩١/٣)

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا عَبَدَ اللهَ فَصَلَّى وَصَامَ وَحَجَّ بَيْتَ اللهِ الْحَرَامَ، وَآمَنَ بِاللهِ وَسَائِرِ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ وَلَمْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ، هَلْ يَكُونُ مُسْلِمًا؟

فَقُلْ: إنَّ الاستسلام لله بالتوحيد لا يقوم إلا على رُكْنَي النفي والإثبات، والنفي يقوم على البراءة مِنَ الشرك وأهله، والإثبات يقوم على إفراد الله بالعبودية والطاعة، دَلَّ عليه مُجْمَل الآيات المُفسِّرة للتوحيد، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فقوله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، أي: أَفْرِدوا الله بخصائصه في الربوبية ومِنْه الحُكْم والتشريع، وخصائصه في الألوهية، وأسمائه الحسنى وَصِفاته العُلا، وقوله: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، أي: جانِبوه بالبراءة مِنَ الآلهة الباطلة وعابديها، وذلك بِبُغضهم وعَداوتِهم وتَكفيرهم، ومتى كان الخلل في النفي أو الإثبات -أي البراءة أو الإفراد- كان الخلل في التوحيد.

ومِنَ الآيات المُفسِّرة للتوحيد، قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، والكُفْر بالطاغوت شَرْط في صحة الإسلام، ومَنْ لم يَكْفُر بالطاغوت لم يَستمسِك بالعروة الوثقى، وهو مُتَرَدٍّ مع الهالكين، فلا بد أنْ تَعْرِف الطاغوت لِتَجتنبه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧]، وتَعْرِف عُبَّاد الطاغوت لتحقق البراءة منهم، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]. ولا بد للعبد أَنْ يُحقِّق البراءة مِنَ الشرك والمُشركين حتى يكون مُوَحِّدًا، وليس الشرك مَحصورًا فيما كان يَصرفه الوثنيون للأصنام مِنْ دعاء واستغاثة وذبح ونذر وغيرها مِمَّا يَصرفه مُشركو اليوم المُنتسبون للقبور والمَشاهد والمَزارات، بل مِنْها شرك الطاعة وشرك الحاكمية كما يفعله الناس اليوم مِنْ تَحاكُم للمحاكم الوضعية واتِّباع للقوانين والتشريعات التي يَأمُر بها الطواغيت ويَسُنُّها الأرباب الأرضية.

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: مَا الطَّاغُوتُ الَّذِي لَا يَصِحُّ إِسْلَامُ الْمَرْءِ إِلَّا بِالْكُفْرِ بِهِ وَالْبَرَاءَةِ مِنْ عَابِدِيهِ؟

فَقُلْ: الطاغوت هو "كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ، فَطَاغُوتُ كُلِّ قَوْمٍ مَنْ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ غَيْرَ اللهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ، أَوْ يَتْبَعُونَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنَ اللهِ، أَوْ يُطِيعُونَهُ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ طَاعَةٌ للهِ، فَهَذِهِ طَوَاغِيتُ الْعَالَمِ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا وَتَأَمَّلْتَ أَحْوَالَ النَّاسِ مَعَهَا رَأَيْت أَكْثَرَهُمْ عَدَلُوا مِنْ عِبَادَةِ اللهِ إِلَى عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَعَنِ التَّحَاكُمِ إِلَى اللهِ وَإِلَى الرَّسُولِ إِلَى التَّحَاكُمِ إِلَى الطَّاغُوتِ، وَعَنْ طَاعَتِهِ وَمُتَابَعَةِ رَسُولِهِ إِلَى طَاعَةِ الطَّاغُوتِ وَمُتَابَعَتِهِ" [١].

وقد جاء تفسير الطاغوت عند السلف بذكر بعض أفراده، ومِمَّا وَرَدَ في ذلك:

١) **الشَّيْطَانُ**: روي عن عمر بن الخطاب مِنْ طريق حَسَّان بن فائِد العبسي، قَالَ: "الطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ" [٢]، وروي مثله عن عبد الله بن عباس، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء، نحو ذلك، وعن أبي العالية مِنْ طريق الربيع بن أنس، وإسماعيل السُّدِّيّ مِنْ طريق أسباط، نحو ذلك.

٢) **الْأَوْثَانُ وَالْأَصْنَامُ**: قال إسماعيل السُّدِّيّ: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، "يَعْنِي: وَاجْتَنِبُوا الْأَوْثَانَ" [٣].

٣) **سَدَنَةُ الْأَوْثَانِ**: عن ابن عباس: "الطَّاغُوتُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ الأَصْنَامِ، يَعْبُرُونَ عَنْهَا الْكَذِبَ، لِيُضِلُّوا النَّاسَ" [٤]، أي السَّدَنَة.

[١] إعلام المُوَقِّعين (٤٠/١)

[٢] أخرجه سعيد بن منصور (٦٤٩ - تفسير)، وابن جرير (٥٥٩/٤) (١٣٥/٧)، وابن أبي حاتم (٤٩٥/٢) (عقب ٢٦١٨)، وعلَّقه البخاري (٥٧/٦)، وعزاه السيوطي إلى الفريابي

[٣] علَّقه يحيى بن سلام (٦٣/١)

[٤] رواه ابن أبي حاتم برقم ٢٦١٩

٤) **الْكَاهِنُ:** عن أبي مالك غَزْوان الغفاري مِنْ طريق السدي، قال: "الطَّاغُوتُ: الْكَاهِنُ" [١]، وعن عكرمة مولى ابن عباس، وعامر، الشعبي، وسعيد بن جبير، نحو ذلك [٢].

٥) **الْحَاكِمُ بِغَيْرِ شَرْعِ اللهِ:** عن عبد الله بن عباس مِنْ طريق علي بن أبي طلحة، قال: "الْجِبْتُ: حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ. وَالطَّاغُوتُ: كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ" [٣]، وعن جابر بن عبد الله مِنْ طريق أبي الزبير: أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الطَّوَاغِيتِ، قَالَ: "كَانَ فِي جُهَيْنَةَ وَاحِدٌ، وَفِي أَسْلَمَ وَاحِدٌ، وَفِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ، وَهُمْ كُهَّانٌ تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينُ" [٤].

٦) **السَّاحِرُ:** قال الشَّعْبِيّ: "الطَّاغُوتُ: السَّاحِرُ" [٥]، ومِثْلُه عن أبي العالية، قال: "الطَّاغُوتُ السَّاحِرُ" [٦]، وعن محمد بن سيرين مِنْ طريق عوف، قال: "الطَّاغُوتُ: السَّاحِرُ" [٧].

٧) **كُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ:** عن أبي عبيدة: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾، "كُلُّ مَعْبُودٍ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ مَدَرٍ، أَوْ صُورَةٍ، أَوْ شَيْطَانٍ، فَهُوَ جِبْتٌ وَطَاغُوتٌ" [٨]، وقال مالك بن أنس مِنْ طريق ابن وهب: "الطَّاغُوتُ: مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، قَالَ: ﴿اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾، قَالَ: كُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ" [٩].

---

[١] أخرجه ابن أبي حاتم (٩٧٦/٣)

[٢] علَّقه ابن أبي حاتم (٩٧٦/٣)

[٣] أخرجه ابن جرير (١٣٩/٧ - ١٤٠)، وابن أبي حاتم (٩٧٥/٣)

[٤] أخرجه ابن جرير (٥٥٨/٤)، وابن أبي حاتم (٩٧٦/٣)

[٥] رواه ابن أبي حاتم برقم ٢٦٢٠

[٦] رواه الطبري برقم ٥٨٠١

[٧] أخرجه ابن جرير (٥٥٧/٤)

[٨] رواه ابن المنذر في تفسيره برقم ١٨٧٧

[٩] أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع - تفسير القرآن (١٣٥/٢، ٢٧٠)

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: مَا الِانْقِيَادُ للهِ بِالطَّاعَةِ، وَكَيْفَ تَكُونُ طَاعَةُ الطَّوَاغِيتِ عِبَادَةً لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ؟

فَقُلْ: إنَّ الانقياد لله ﷻ يكون بقبول شَرْعه وطاعة أَمْره والعمل بدينه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]، قال ابن جرير: "وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾، يَقُولُ: **وَاخْضَعُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْإِقْرَارِ بِالدِّينِ الْحَنِيفِيِّ**" [١]، وهذا الأصل ينقضه الانقياد للطواغيت وقبول التكليف منهم وامتثال أَمْرهم وطاعتهم في شرائعهم الجاهلية المُناقِضة لشريعة الله تعالى، والطاعة حقٌّ لله ولِمَن أَذِنَ في طاعتهم مِنْ أُولِي الأَمْر الشرعي، فمَنْ صَرَفها للطواغيت المُشَرِّعين مِنْ دون الله فتَلَقَّى عنهم الأمر والنهي وأطاعهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال وإسقاط الواجبات فقد أشرك بالله تعالى في الطاعة وعَبَدَ الطواغيت المُشَرِّعين مِنْ دون الله، فعن الربيع بن أنس، قال: "قُلْتُ لِأَبِي الْعَالِيَةَ: كَيْفَ كَانَتِ **الرُّبُوبِيَّةُ** الَّتِي كَانَتْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: مَا أَمَرُونَا بِهِ ائْتَمَرْنَا، وَمَا نَهَوْنَا عَنْهُ انْتَهَيْنَا لِقَوْلِهِمْ، وَهُمْ يَجِدُونَ فِي كِتَابِ اللهِ مَا أُمِرُوا بِهِ وَمَا نُهُوا عَنْهُ، فَاسْتَنْصَحُوا الرِّجَالَ، وَنَبَذُوا كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ" [٢].

فالطاعة تكون عبادةً لغير الله -مِنَ المُشَرِّعين والأرباب- في صورة الانقياد مع الخضوع، وهي صورة قبول التكليف مع الامتثال والدخول في العمل، فلا بد مِنْ وجود القبول للتكليف: الذي هو في معنى اتخاذ الأرباب والتلقي عنهم، والدخول في العمل: الذي هو امتثال الأَمْر مِنْ هؤلاء الطواغيت في مخالَفة الشريعة.

---

[١] تفسير الطبري (٢١/٣١٢)

[٢] رواه الطبري في تفسيره برقم ١٦٦٤٢

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: مَا الْعِبَادَةُ الَّتِي لَا يَنْبَغِي صَرْفُهَا إِلَّا للهِ؟

فَقُلْ: هي طاعة مع خضوع واستكانة وتذلل، فالعبادة هي اسم لكل طاعة أُدِّيَت على وجه الخضوع لله تعالى، "وَهِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ" [١]، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، قال ابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما: "الْمَعْنَى: مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ **إِلَّا لِآمُرَهِمْ بِعِبَادَتِي، وَلِيُقِرُّوا لِي بِالْعُبُودِيَّةِ**، فَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾، إِذِ الْعِبَادَةُ هِيَ مُضْمُونُ الْأَمْرِ" [٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، قال الطبري: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، "**الِاسْتِكَانَةُ، وَالْخُضُوعُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَإِفْرَادُ الرُّبُوبِيَّةِ لَهُ وَالْعِبَادَةِ دُونَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ وَالْآلِهَةِ**؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ هُوَ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ، وَخَالِقُ أَصْنَامِهِمْ وَأَوْثَانِهِمْ وَآلِهَتِهِمْ. فَقَالَ لَهُمْ جَلَّ ذِكْرُهُ: فَالَّذِي خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ آبَاءَكُمْ وَأَجْدَادَكُمْ وَسَائِرَ الْخَلْقِ غَيْرَكُمْ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى ضَرِّكُمْ وَنَفْعِكُمْ أَوْلَى بِالطَّاعَةِ مِمَّنْ لَا يَقْدِرُ لَكُمْ عَلَى نَفْعٍ وَلَا ضَرٍّ، **وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيمَا رُوِيَ لَنَا عَنْهُ يَقُولُ فِي ذَلِكَ نَظِيرَ مَا قُلْنَا فِيهِ**، غَيْرَ أَنَّهُ ذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي مَعْنَى: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، وَحِّدُوا رَبَّكُمْ. وَقَدْ دَلَّلْنَا -فِيمَا مَضَى مِنْ كِتَابِنَا هَذَا- **عَلَى أَنَّ مَعْنَى الْعِبَادَةِ: الْخُضُوعُ للهِ بِالطَّاعَةِ، وَالتَّذَلُّلُ لَهُ بِالِاسْتِكَانَةِ**، وَالَّذِي أَرَادَ ابْنُ عَبَّاسٍ -إِنْ شَاءَ اللهُ- بِقَوْلِهِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، **وَحِّدُوهُ، أَيْ أَفْرِدُوا الطَّاعَةَ وَالْعِبَادَةَ لِرَبِّكُمْ دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ**" [٣].

---

[١] الفتاوى (ج١٠، ص١٤٩)

[٢] المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٨٣/٥)

[٣] تفسير الطبري (٣٦٣/١)

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: مَا شِرْكُ الطَّاعَةِ؟

فَقُلْ: هو قبول التكليف مِنَ الطواغيت المُشَرِّعين، والانقياد لهم في تحليل الحرام أو تحريم الحلال أو تغيير أحكام الوضع أو إسقاط الواجب مِمَّا هو مِنْ حُكْم الشُّرَكاء المُبَدِّلين، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، قال عبد الله بن عباس: "لَمْ يَأْمُرُوهُمْ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُمْ، وَلَكِنْ أَمَرُوهُمْ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَأَطَاعُوهُمْ، فَسَمَّاهُمُ اللهُ بِذَلِكَ أَرْبَابًا" [١]، وعن أبي البَخْتَرِيّ: "انْطَلَقُوا إِلَى حَلَالِ اللهِ فَجَعَلُوهُ حَرَامًا، وَانْطَلَقُوا إِلَى حَرَامِ اللهِ فَجَعَلُوهُ حَلَالًا، فَأَطَاعُوهُمْ فِي ذَلِكَ، فَجَعَلَ اللهُ طَاعَتَهُمْ عِبَادَتَهُمْ، وَلَوْ قَالُوا لَهُمْ: اعْبُدُونَا، لَمْ يَفْعَلُوا" [٢].

ومِنَ السُّنَّة: "رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَغَيْرُهُمْ، مِنْ طُرُقٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَتْهُ دَعْوَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فرَّ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأُسِرَتْ أُخْتُهُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، ثمَّ منَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى أُخْتِهِ وَأَعْطَاهَا، فَرَجَعَتْ إِلَى أَخِيهَا، ورَغَّبته فِي الْإِسْلَامِ وَفِي الْقُدُومِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدِمَ عَدِيٌّ الْمَدِينَةَ، وَكَانَ رَئِيسًا فِي قَوْمِهِ طَيِّءٍ، وَأَبُوهُ حَاتِمٌ الطَّائِيُّ الْمَشْهُورُ بِالْكَرَمِ، فَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِقُدُومِهِ، فَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي عُنُقِ عَدِيٍّ صَلِيبٌ مِنْ فِضَّةٍ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة ٣١]، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُمْ. فَقَالَ: بلَى، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، **فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ**" [٣].

---

[١] رواه الطبري برقم ١٦٦٤١

[٢] رواه الطبري برقم ١٦٦٣٨

[٣] سنن الترمذي برقم ٣٠٩٥، وتفسير الطبري (١٤/٢٠٩)

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: مَا شِرْكُ الِاتِّبَاعِ؟

فَقُلْ: هو اتِّباع منهج وشِرعة غير ما شَرَعَه الله لعباده، وهذا المُتَّبِع قد اتَّخذ الذي تَلَقَّى مِنْه الشِّرعة والمَنهج ربًّا مِنْ دون الله، واتَّبَع أهواء الطواغيت وآراء الذين لا يَعْلَمون، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، وهؤلاء الخارجون مِنْ عبودية الله في الحُكْم والطاعة والاتِّباع قد صاروا عبيدًا للبشر، تَحْكُمهم أهواؤهم، وتسوسهم أوضاعهم، فَهُم مشركون بهذا الاتِّباع كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ولا فرق بين مَنْ يَسجد ويَتضرع بالدعاء لقبر، ومَنْ يَتَّبِع نظامًا وضعيًّا في النهي والأمر.

وضده توحيد الاتِّباع: وهو إفراد الله بالتلقي عنه وحده دونما سواه، فالمُسلم هو الذي أسلم وجهه -أي كله- لله، وهو الذي يَتَلَقَّى عن ربه في الأصول الأربعة: (١) **العقائد والأخبار**، (٢) **والمَناسك والشعائر**، (٣) **والشرائع والأحكام**، (٤) **ونظام المُلك ومنهج الحياة**، فالخالق لهذا الكون المُتصرِّف فيه المُدَبِّر لأمره المَالك له هو الذي له الخَلْق والأَمْر، وهو الذي يُقَرِّر الاعتقاد والتَّصَوُّر للقلب، والعبادة والشعائر للجوارح، والنظام والمَنهج للحياة، والمُسلم هو الذي يَتَلَقَّى عن ربه في الأصول الأربعة سواءً بسواء، وهذا معنى الكُلِّيَّة في التَّلَقِّي التي لا يصح الإسلام إلا بها، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، "أَيْ: لَا تَخْرُجُوا عَمَّا جَاءَكُمْ بِهِ الرَّسُولُ إِلَى غَيْرِهِ، فَتَكُونُوا قَدْ عَدَلْتُمْ عَنْ حُكْمِ اللهِ إِلَى حُكْمِ غَيْرِهِ" [١].

---

[١] تفسير ابن كثير (٢٩٥/١٢)

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: لِمَاذَا اشْتَرَطْتُمْ فِي صِحَّةِ الْإِسْلَامِ الْبَرَاءَةُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَتَكْفِيرُهُمْ؟

فَقُلْ: لأنَّ المُسلم لا يُحَقِّق البراءة مِنَ الشرك إلا بالبراءة مِنَ المُشركين، **والبراءة مِنَ الشرك هي** تَرْك الشرك واعتقاد عدم أحقية الآلهة الباطلة للعبادة، وينقضها التَّلَبُّس بالشرك. **وأما البراءة مِنَ المُشركين فهي** مُفارَقتهم في الدِّين واعتقاد أنَّهم على دين باطل، ويَنْقُضها أسلمة المُشركين واعتقاد أنَّهم معذورون بالجهل أو التقليد أو التأويل.

وتَرْك الشرك والبراءة مِنْه يَتحقق باعتقاد أنَّ أهله على دين باطل وعلى غير مِلَّة إبراهيم، ومَنْ سَمَّى المُشرك مسلمًا فقد سَمَّى الشرك إسلامًا، وهو لا يَعْرِف الكُفْر مِنَ الإسلام، وحكى أبو الحسين المَلَطِيّ الإجماع على أنَّ الجهل مناط مُكَفِّر، فقال: "وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ مُعْتَزِلَةَ بَغْدَادَ وَالْبَصْرَةَ وَجَمِيعَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ أَنَّ مَنْ شَكَّ فِي كَافِرٍ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّ الشَّاكَّ فِي الْكُفْرِ لَا إِيمَانَ لَهُ **لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ كُفْرًا مِنْ إِيمَانٍ**، فَلَيْسَ بَيْنَ الْأُمَّةِ كُلِّهَا الْمُعْتَزِلَةَ وَمَنْ دُونَهُمْ خِلَافٌ أَنَّ الشَّاكَّ فِي الْكَافِرِ كَافِرٌ" [١]، لا كما يَدَّعِيه الجهمية في هذا الزمان أنَّ الجهل عُذْرٌ مُبرِّر بل هو مناط مُكَفِّر، قال أبو سليمان: "سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنُ شَبِيبٍ عَنْ عِلْمِ الْحُلْوَانِيِّ، قَالَ: يُرْمَى فِي الْحُشِّ. ثُمَّ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: مَنْ لَمْ يَشْهَدْ بِكُفْرِ الْكَافِرِ فَهُوَ كَافِرٌ" [٢].

ويدل على أنَّ البراءة مِنَ المُشركين وتكفيرهم مِنْ حقيقة ملة إبراهيم، آية المُمتحنة التي بَيَّنَت صريح المِلَّة الحنيفية، وفَسَّرَت الكلمة الباقية، ونَصَّت على الأُسوة الحَسَنَة التي أُمِرَت هذه الأمة باتِّباعها، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، قال أبو جعفر: "وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، يَقُولُ: حِينَ قَالُوا لِقَوْمِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ وَعَبَدُوا الطَّاغُوتَ: أَيُّهَا الْقَوْمُ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ،

---

[١] التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (٤٠/١)

[٢] تاريخ بغداد (٣٧٧/٧)

وَمِنَ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَقَوْلُهُ: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ أَنْبِيَائِهِ لِقَوْمِهِمُ الْكَفَرَةِ: كَفَرْنَا بِكُمْ، أَنْكَرْنَا مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَجَحَدْنَا عِبَادَتَكُمْ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْ تَكُونَ حَقًّا، وَظَهَرَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا عَلَى كُفْرِكُمْ بِاللهِ، وَعِبَادَتِكُمْ مَا سِوَاهُ، وَلَا صُلْحَ بَيْنَنَا وَلَا هَوَادَةَ، ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾، يَقُولُ: حَتَّى تُصَدِّقُوا بِاللهِ وَحْدَهُ، فَتُوَحِّدُوهُ، وَتُفَرِّدُوهُ بِالْعِبَادَةِ" [١].

ولا يصحُّ إسلام المَرء حتى يُحَقِّق البراءة مِنَ الشرك والمُشركين؛ بدلالة النُّصوص المُفَسِّرة لكلمة التوحيد، وبإجماع جميع أهل السُّنَّة والجماعة مِنَ الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم، كما حكى الإجماع عبد الرحمن بن حسن، حيث قال: "أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ سَلَفًا وَخَلَفًا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْأَئِمَّةِ، وَجَمِيعُ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الْمَرْءَ لَا يَكُونُ مُسْلِمًا إِلاَّ بِالتَّجَرُّدِ مِنَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ، **وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ وَمِمَّنْ فَعَلَهُ**، وَبُغْضِهِمْ وَمُعَادَاتِهِمْ بِحَسْبِ الطَّاقَةِ وَالْقُدْرَةِ، وَإِخْلَاصِ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا لِلهِ" [٢].

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: لِمَاذَا جَعَلْتُمُ الْبَرَاءَةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ هِيَ الْبَرَاءَةُ مِنَ الشُّعُوبِ فِي هَذَا الزَّمَانِ؟

فَقُلْ: إنَّ البراءة مِنَ الأقوام الكافرة مِنْ حقيقة مِلَّة إبراهيم ودعوة الرسل أجمعين؛ بدليل الآيات المُفَسِّرَة لحقيقة دعوة الرسل أقوامهم وما ورد فيها مِنْ تكفير وبراءة مِنْ تلك الأقوام المُكَذِّبَة، فلا يكون المَرء مُحَقِّقًا لِمِلَّة إبراهيم وركنها البراءة مِنَ المُشركين إذ كان مُؤَسْلِمًا لقومه عُبَّاد الطواغيت في هذا الزمان، فالبراءة مِنَ المُشركين في صورة شرك الأقوام وعموم الكُفْر في الديار تتحقق بالبراءة مِنَ القوم وتكفيرهم، ودَلَّت عليه نَصًّا آية المتحنة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ

[١] تفسير الطبري (٢٣/٣١٧)

[٢] الدرر السنية (١١/٥٤٥)

وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، والآيات الواردة في بيان مِلَّة إبراهيم وحقيقة دعوة الرسل والمُفَسِّرَة للتوحيد كلها خطاب مِنَ الرسل لأقوامهم المُشركين بالبراءة والتكفير، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٨-٧٩]، وسياق قصص الأنبياء في سورة الأعراف وهود، حيث يتكرر قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

فقضية الدعوة إلى التوحيد والبراءة مِنَ المُشركين وأقوامهم، والصراع بين الحق والباطل والإيمان والكُفْر، إنَّما هي خصومة بين الأنبياء والأقوام المُكَذِّبَة والقرى المُعَانِدَة، فلا يصح إسلام الفرد مِنْ هذه الأقوام المُشركة إلا بعد البراءة مِنْ قومه وتكفيرهم واعتقاد أنَّهم ليسوا على شيء، وخَلْع الآلهة والأنداد، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، واتِّباع الرسول والخضوع والانقياد لأمر الله تعالى وحده دونما سواه، كما روى ابن إسحاق في السيرة، قال: "ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: **أَحَقٌّ مَا تَقُولُ قُرَيْشٌ يَا مُحَمَّدُ مِنْ تَرْكِكَ آلِهَتَنَا، وَتَسْفِيهِكَ عُقُولَنَا، وَتَكْفِيرِكَ آبَاءَنَا؟** فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَنَبِيُّهُ، بَعَثَنِي لِأُبَلِّغَ رَسَالَتَهُ وَأَدْعُوكَ إِلَى اللهِ بِالْحَقِّ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لِلْحَقِّ أَدْعُوكَ، إِلَى اللهِ يَا أَبَا بَكْرٍ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يُعْبَدَ غَيْرُهُ، وَالْمُوَالَاةُ عَلَى طَاعَتِهِ أَهْلَ طَاعَتِهِ»، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَلَمْ يَفِرَّ، وَلَمْ يُنْكِرْ، فَأَسْلَمَ وَكَفَرَ بِالْأَصْنَامِ، وَخَلَعَ الْأَنْدَادَ، وَأَقَرَّ بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ مُصَدِّقٌ" [١].

[١] سيرة ابن إسحاق (١٣٩/١)

فمَنْ حَقَّق البراءة مِنْ قومه المُشركين ومِمَّا يَعبُدون مِنْ دون الله، وكَفَّرَهم وعاداهم وأَبْغَضَهم، وآمَنَ بالله واسْتَسْلَمَ لله بتوحيده، ولم يُشْرِك بالله شيئًا في العبادة والحُكْم والطاعة والمَحبة، واجْتَنَبَ عبادة الطاغوت والتحاكم لشرعه، واتَّبَعَ ما أَنْزَلَ الله، وكان عبدًا لله في التَّلَقِّي والطاعة والاتِّباع لا عبدًا للطواغيت أو وليًّا للكافرين، كان مسلمًا، كما قال تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٦-٢٥٧]، فمَنْ أتى بذلك فقد حَقَّقَ مِلَّة إبراهيم واسْتَمْسَكَ بالعروة الوثقى والكلمة الباقية.

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: مَا مَنَاطَاتُ كُفْرِ هَذِهِ الشُّعُوبِ الْعَرَبِيَّةِ؟

فَقُلْ: إنَّ هذه الشعوب والأقوام غارقة في صنوف الكُفْر والشرك العام، وإنَّ هذه المُكَفِّرات مُستفيضة بينهم، وهذا بيانها:

١) الْجَهْلُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَالْإِعْرَاضُ عَنْ تَعَلُّمِ الْإِسْلَامِ بِحَدِّهِ الصَّحِيحِ.

فالديار خاليةٌ مِنَ الدعوة إلى التوحيد والصَّدْع به، بل قائمة فيها الدعوة إلى عبادة الطواغيت والخضوع لهم، وهي تعلو المَنابر والإعلام، وتُسَطَّر في المُقَرَّرات والمَدارس والجامعات، فعموم الشعوب تَجْهَل المَعنى الصحيح لـ"لا إله إلا الله" وتُفَسِّرها بـ"لا صانع ولا خالق إلا الله"، على تفسير الأشعرية الجهمية، ويعتقدون أنَّ مَنْ نَطَقَ بـ "لا إله إلا الله" فهو مسلم ولا يصح تكفيره بحال مِنَ الأحوال ولو فَعَل ما فَعَل مِنْ صنوف الكُفْر والشرك إلا إذا جَحَدَ الصانع.

ونَقُول إنَّ مُجَرَّد الانتساب إلى الإسلام بالاسم مع البقاء على مِلَّة الشرك واستدامته، وعدم اجتناب الطاغوت وطاعته، ولا البراءة مِنَ المُشركين وتكفيرهم، لا يَصِير به المَرء مسلمًا،

فتكون بذلك دعوى لا تُصَحِّح إسلامهم ولا يَتَرَتَّب عليها أحكام في دين الله ﷻ، وهو انتساب لا اعتبار له في الشَّرْع، وأهله هُمْ أهل الشرك ومِلَّة الكُفْر سواءً بسواء، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]، عن الرَّبيع، عن أنس بن مالك: "تَوْبَتُهُمْ خَلْعُ الأَوْثَانِ وَعِبَادَتِهَا"، وعن مُقاتِل بن حَيَّان: "**فَإِنْ تَابُوا مِنَ الشِّرْكِ** وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَمْ تَقْتُلْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ"، وروي عن الضَّحَّاك: "فَإِنْ تَابُوا مِنَ الشِّرْكِ" [١].

وكذلك نسبة اليهود والنصارى وعُبَّاد الأوثان أنفسهم إلى ملَّة إبراهيم وإقامتهم لبعض الشعائر الدينية، لم يُصَحِّح دينهم ولا اعتبار له في الأسماء ولا في الأحكام، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] قال البغوي: "وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ اخْتَلَفُوا فَادَّعَى كُلُّ وَاحِدٍ أَنَّهُ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَاخْتَصَمُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَضَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمْ أَنَّ: كِلَا الْفَرِيقَيْنِ بَرِيءٌ مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وأَنَّ دِينَهُ الْإِسْلَامُ، فَغَضِبُوا وَقَالُوا: لَا نَرْضَى بِقَضَائِكَ وَلَا نَأْخُذُ بِدِينِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾" [٢].

٢) عَدَمُ تَكْفِيرِ الطَّوَاغِيت.

فالشعوب في هذه الديار لا تُكَفِّر طواغيت الحُكْم والمُشَرِّعين لهم مِنْ دون الله تعالى، بل ويَعتقِدون أنَّهم أولياء أمورهم تَجِب طاعتهم ومتابعتهم، وهو الدِّين الذي رَسَّخه فيهم علماء السلاطين سنينَ إثر سنين.

واعلم أنَّه لا يصح الإسلام إلا بالكُفْر بالطاغوت، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]،

[١] رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٢٧٢ و٩٢٧٣)

[٢] تفسير البغوي (١/٤٦٥)

فمَنْ لم يَكْفُر بالطاغوت لم يؤمن بالله تعالى ولم يَستمسِك بالعروة الوثقى التي هي لا إله إلا الله، فهو مِنْ جُمْلَة الهالكين، وقد سَمَّى الله تعالى الحاكم بغير شرعه طاغوتًا، فقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، ومِنْ ثَمَّ فالكُفْر بهذا الطاغوت وغيره مِنَ الطواغيت شَرْط في صحة الإسلام، وجُمْلَة هذه الشعوب ترى في الدِّيانة الديمقراطية والدولة المَدنية منهج حياة عصري، وأنَّ للأحزاب الديمقراطية والاشتراكية والعلمانية الحق في الحاكمية.

٣) الامْتِنَاعُ عَنِ الْتِزَامِ دِينِ اللّٰهِ.

فالشعوب طوائف مُمْتَنِعَة عن دين الله بموجب قانون النصرة والخدمة الوطنية -خدمة العَلَم- الذي هو واجب مُقدَّس عندهم؛ فكل رجالهم يُجَنَّدون احتياطًا نُصرةً للطاغوت ليَستعمِلهم متى احتاج إليهم في قتال مَنْ خَرَجَ على سلطانه، والطوائف المُمْتَنِعَة عن الشرائع كحال هذه الشعوب كُفَّار بأعيانهم بإجماع الصحابة، وحكى الإجماع أبو عبيد القاسم بن سلَّام في سياق استدلاله أنَّ العمل رُكْن في الإيمان، فقال: "وَالْمُصَدِّقُ لِهَذَا جِهَادُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى مَنْعِ الْعَرَبِ الزَّكَاةَ كَجِهَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَهْلَ الشِّرْكِ سَوَاءً، لَا فَرْقَ بَيْنَهَا فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَسَبْيِ الذُّرِّيَّةِ، وَاغْتِنَامِ الْمَالِ، فَإِنَّمَا كَانُوا مَانِعِينَ لَهَا غَيْرَ جَاحِدِينَ بِهَا" [١].

ودار المُمتنِعين عن شريعة مِنَ شرائع الإسلام هي دار حرب بإجماع الفقهاء، قال في شرح الإقناع: "أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ مُمْتَنِعَةٍ عَنْ شَرِيعَةٍ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ قِتَالُهَا حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ، **كَالْمُحَارِبِينَ وَأَوْلَى**" [٢].

[١] الإيمان (١/١٧)

[٢] الدرر السَّنِيَّة في الأجوبة النجدية (١٠/٣٠٩)

ونصرة هذه الشعوب للطاغوت مُتمثِّلة في الخدمة الإلزامية لجميع المُواطنين، وهذا مُتَقَرِّر في دساتير جميع الدول العربية، بل يُحْمَل جميع المُواطنين الذكور للخدمة ويُتَخَطَّفُون مِنَ الحواجز والبيوت والمَطارات لأدائها حتى يكونوا جنود احتياط في الجيش الوطني الشعبي لنصرته والقتال تحت رايته عند الحاجة إليهم، وما يُقصد تَبَعًا مِنْ تربية المُواطن على عبادة الوطن والفداء مِنْ أَجْلِه والقتال في سبيله والإعداد لذلك.

٤) شِرْكُ الْعِبَادَةِ.

ومِنْ مظاهر الكُفْر في هذه الديار، شرك العبادة؛ كاتخاذ القبور والمَشاهِد والأوثان والمَعابِد التي تُقْصَد بالعبادة والتعظيم ويُصْرَف لها ما اخْتَصَّ الله به مِنْ صُنوف العبادات؛ كالدعاء والذبح والنَّذْر وغيرها، ويُعْتَقَد فيها النفع والضر والزُلْفَى والشفاعة... والمُشركون لهم أعياد ومواسم وقرابين وشعائر ظاهرة في الأرض مِنْ غير نكير ولا نذير ولا براءة ولا تكفير في عموم البلدان العربية؛ كالبدوي في مصر، والست زينب في سوريا، والجيلاني في العراق، و عبد الرحمن الثعالبي في الجزائر، والحسينيات في جزيرة العرب، وغيرها كثير، وهي مَعَالِم بارزة وصروح شاهدة على شرك القوم في هذا الزمان، وحال الناس اليوم كما كان عليه العرب في الجاهلية الأُولى؛ في كل قرية صنم ولكل قبيلة إله، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩-٢٠]، فوثنية الجاهلية الأُولى هي وثنية اليوم سواء بسواء.

٥) شِرْكُ الْحَاكِمِيَّةِ.

ففي هذه الديار، الشعوب هي الحاكمة مِنْ دون الله؛ ففي دين الديمقراطية، الشعب هو مَصْدر السُّلُطات -التشريعية والقضائية والتنفيذية-، وهذا المَعْلَم مُتمثِّل في هذا الزمان في إنشاء الجامعات التي تُدَرِّس القانون وتُخَرِّج القُضَاة والمُحامين والسياسيين الوضعيين، وتنصيب البرلمانات ومجالس الشعب التي تَسُن القوانين والنُّظم، وإقامة المَحاكم الوضعية التي تَحْكُم

بما شَرَعَه الطواغيت، وإجراء الانتخابات لتنصيب الحُكَّام ونُوَّاب الشعب المُشَرِّعين، وهذه المَعالم في هذا الزمان أكثر بُروزًا وشُهودًا مِمَّا كانت عليه الجاهلية الأُولى؛ ففي جاهلية العصر تَتَجَلَّى بوضوح حاكمية البشر للبشر وعبودية العباد للعبيد، وهذا أصل مِنْ أصول شرك العَالَم، وهو الشرك في حُكْم الله. قال حمد بن عتيق: "وَمَنْ لَهُ مُشَارَكَةٌ فِيمَا قَرَّرَهُ الْمُحَقِّقُونَ، قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَنَّ الْبَلَدَ إِذَا ظَهَرَ فِيهَا الشِّرْكُ، وَأُعْلِنَتْ فِيهَا الْمُحَرَّمَاتُ، وَعُطِّلَتْ فِيهَا مَعَالِمُ الدِّينِ، أَنَّهَا تَكُونُ بِلَادَ كُفْرٍ، تُغْنَمُ أَمْوَالُ أَهْلِهَا، وَتُسْتَبَاحُ دِمَاؤُهُمْ، **وَقَدْ زَادَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَلَدِ، بِإِظْهَارِ الْمَسَبَّةِ للهِ وَلِدِينِهِ، وَوَضَعُوا قَوَانِينَ يُنْفِذُونَهَا فِي الرَّعِيَّةِ، مُخَالِفَةً لِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ** ﷺ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ هَذِهِ كَافِيَةٌ وَحْدَهَا فِي إِخْرَاجِ مَنْ أَتَى بِهَا مِنَ الْإِسْلَامِ. هَذَا وَنَحْنُ نَقُولُ: **قَدْ يُوجَدُ فِيهَا مَنْ لَا يَحْكُمُ بِكُفْرِهِ فِي الْبَاطِنِ**، مِنْ مُسْتَضْعَفٍ وَنَحْوِهِ، **وَأَمَّا فِي الظَّاهِرِ فَالْأَمْرُ وَللهِ الْحَمْدُ وَاضِحٌ**، وَيَكْفِيكَ مَا فَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَهْلِ مَكَّةَ، مَعَ أَنَّ فِيهِمْ مُسْتَضْعَفِينَ، وَكَذَلِكَ مَا فَعَلَهُ أَصْحَابُهُ بِكَثِيرٍ مِمَّنِ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، مِنِ اسْتِبَاحَةِ الدَّمِ وَالْمَالِ وَالْعِرْضِ، وَكُلُّ عَاقِلٍ وَعَالِمٍ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَتَى بِهِ هَؤُلَاءِ مِنَ الْكُفْرِ وَالرِّدَّةِ، أَقْبَحُ وَأَفْحَشُ وَأَكْثَرُ مِمَّا فَعَلَهُ أُولَئِكَ" [١].

٦) التَّحَاكُمُ لِلْمَحَاكِمِ الْوَضْعِيَّةِ.

وهي المَحاكم التي تَحْكُم بقوانين يسنها المُشَرِّعون في البَرلمَان، وهذا مِنَ الكُفْر المُبين الذي وَقَعَ فيه عموم الناس في هذه الديار، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، فالله أضاف التحاكم للطاغوت وأَمَرَ بالكُفْر به في قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾، فمَنْ تَحاكَم إلى الطاغوت فقد آمن به، كما أضاف العبادة إلى الطاغوت وأَمَرَ باجتنابه في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾

[١] الدرر السَّنِيَّة في الأجوبة النجدية (٦/٤٠٢)

[الزمر: ١٧]، والقرآن يُفَسِّر بعضه بعضًا، وهذا في غاية الوضوح والظهور في أنَّ التحاكم عبادة لا ينبغي صَرْفها إلا لله تعالى وهي كافية شافية لأهل التَّجَرُّد والاتِّباع.

٧) شِرْكُ الطَّاعَةِ وَالِاتِّبَاعِ.

وهو امتثال هذه الشعوب للقوانين الصادرة مِنَ المُشَرِّعين الوَضعيِّين وقبول التكليف مِنْهم، دون عصيان مدني، ومِصداق ذلك انتخاب الشعب نُوَّابًا عنه في التشريع، يَتَّبِعونهم فيما يَسُنُّون لهم مِنَ الشرائع والأوضاع، قال الشنقيطي: "وَبِهَذِهِ النُّصُوصِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَا، يَظْهَرُ غَايَةَ الظُّهُورِ: أَنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْقَوَانِينَ الْوَضْعِيَّةَ الَّتِي شَرَعَهَا الشَّيْطَانُ عَلَى أَلْسِنَةِ أَوْلِيَائِهِ **مُخَالَفَةً** لِمَا شَرَعَهُ اللهُ ﷻ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، **أَنَّهُ لَا يَشُكُّ فِي كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ إِلَّا مَنْ طَمَسَ اللهُ بَصِيرَتَهُ، وَأَعْمَاهُ عَنْ نُورِ الْوَحْيِ مِثْلَهُمْ**" [١].

٨) الدُّخُولُ فِي دِينِ الدِّيمُقْرَاطِيَّة.

فالناس اليوم قد دَخلوا في دين الديمقراطية عن بَكْرَة أبيهم -إلا مَنْ رَحِمَ الله-، وأَظْهَروا المُوافَقَة والاتِّباع لأوضاعه، والانقياد لقوانينه وأحكامه، والتحَقوا بمدارسه وجامعاته، وانتَسَبوا إلى الوطن فلهم حقوق المُواطَنة وعليهم واجباتها ومنها الدفاع عن الوطن والإعداد لذلك بالخدمة الإلزامية والمُشارَكة في العملية السياسية وإقامة أركان الطاغوت في الأرض ويسمونها بناء الوطن، وهذا مصداق ما روي عن أبي هريرة، قال: "تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ١-٢]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَيَخْرُجُنَّ مِنْهُ أَفْوَاجًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ أَفْوَاجًا" [٢].

[١] أضواء البيان (٣/٢٥٩)

[٢] رواه الحاكم في "مستدركه"، وقال: "صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ"، ووافقه الذهبي في "تلخيصه".

٩) الِاسْتِهْزَاءُ بِدِينِ اللهِ.

فالسَّب لذات الله والكُفْر اللفظي المُنتشِر في الأمثال يحفظه الصغير ويُرَدِّده الكبير، فهذه الشعوب في زَهْوِها تُنَكِّت بالاستهزاء بآيات الله، وفي غَضَبِها تَنتفِض بِسَبِّ ذات الله، ويَنتشِر فيها الاستهزاء ببعض شعائر الإسلام كالجهاد والسبي ووَصْفها بالإرهاب والتَّخلُّف والرَّجعيَّة، وهذا مُنتشِر في هذه الشعوب بشكل كبير جدًّا بين الصغار والكبار، قال إسحاق بن راهويه: "قَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ مَنْ سَبَّ اللهَ ﷻ، أَوْ سَبَّ رَسُولَهُ ﷺ، أَوْ دَفَعَ شَيْئًا أَنْزَلَهُ اللهُ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُقِرٌّ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، أَنَّهُ كَافِرٌ" [١].

١٠) اِنْتِخَابُ الطَّوَاغِيتِ الْمُشَرِّعِينَ وَالْحَاكِمِينَ، وَالِاسْتِفْتَاءُ عَلَى الدَّسَاتِيرِ الْوَضْعِيَّةِ.

والانتخاب هو اختيار حاكم مِنَ الحكام الطواغيت الذين يَتَرَشَّحُون للحُكْم بغير ما أنزل الله، وذلك بعد عَرْضِهم للبرامج الديمقراطية والشرائع الجاهلية المُخالِفة لدين الله تعالى عَبْرَ حملة انتخابية في جميع القرى والمُحافَظات، وذلك ليختار الشعب الطاغوت الذي يَحْكُمه ويُشَرِّع له مِنْ دون الله بالتصويت عليه وانتخابه عن طريق الأغلبية، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

١١) اِنْتِشَارُ عَقِيدَةِ التَّجَهُّمِ.

ومِنْ مظاهر الكُفْر في هذه الديار، فُشُوّ التَّجَهُّم، وتَعطيل الصِّفات، وحَصْر الكُفْر بالمَعْرِفة والاعتقاد، ونفي العلو لله الواحد القهار؛ فالعقيدة الرسمية والمُعتمَدة في المُقرَّرات الدراسية والمَعاهِد والجامعات والمَساجد ونحوها هي العقيدة الأشعرية وهي عقيدة جهمية كُفْرية في باب الأسماء والصِّفات والأسماء والأحكام وغيرها، قال عبد الله بن أحمد: سَمِعْتُ أَبَا مَعْمَرٍ الْهُذَلِيَّ، يَقُولُ: "مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ ﷻ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يَغْضَبُ وَلَا يَرْضَى -

[١] التمهيد (٤/٢٢٦)

وَذَكَرَ أَشْيَاءَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ- فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ ﷻ، إِنْ رَأَيْتُمُوهُ عَلَى بِئْرٍ وَاقِفًا فَأَلْقُوهُ فِيهَا، بِهَذَا أَدِينُ اللهَ ﷻ؛ لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ بِاللهِ تَعَالَى" [١].

١٢) اِتِّخَاذُ وَثَنِ الْوَطَنِيَّةِ.

فهذه الشعوب قد اتَّخَذَت الوطن طاغوتًا ومعبودًا مِنْ دون الله؛ فيُعقَد الولاء والبراء على أساس الانتماء إليه ولحدوده، وتُقسَّم الحقوق والواجبات على هذا الاعتبار، بحيث مَنْ كان ينتمي للوطن ويَحْمِل جنسيته فله كامل الحقوق والمُوالاة ولو كان مِنْ أَكْفَر الكافرين، ويُعَظِّمُون العَلَم الخاص بهذا الطاغوت، ويَقِفُون له خُضوعًا وقُنوتًا، ويُقاتِلون في سبيله صمودًا، وبذلك يكونوا قد أَشْرَكُوا الوطن مع الله تعالى في الولاء والبراء، وجَعَلُوا المُعتبَر في ذلك هو التراب والحدود وليس العقيدة والدين، وهذا مَفَادُه تنصيب طاغوت الوطنية يَعْبُده الناس مِنْ دون الله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨١].

١٣) فُشُوُّ مَجَالِسِ الْكُفْرِ فِي الْمُظَاهَرَاتِ وَالْمَدَارِسِ وَالْجَامِعَاتِ، وَالْأَعْيَادُ الْكُفْرِيَّةُ.

الجلوس في المَجلس الذي يُكْفَر فيه بآيات الله ويُسْتَهْزَأ بها دون الإنكار أو القيام عنه هو دلالة ظاهرة على الإقرار بالكُفْر بالله تعالى، وهو ظاهر قوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]، قال الطبري: "وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾، يَعْنِي: وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ أَنَّكُمْ إِنْ جَالَسْتُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللهِ وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ، فَأَنْتُمْ مِثْلُهُ، يَعْنِي: فَأَنْتُمْ إِنْ لَمْ تَقُومُوا عَنْهُمْ فِي تِلْكَ الْحَالِ، مِثْلُهُمْ فِي فِعْلِهِمْ؛ لِأَنَّكُمْ قَدْ عَصَيْتُمُ اللهَ بِجُلُوسِكُمْ مَعَهُمْ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ آيَاتِ

[١] السُّنَّة لعبد الله برقم ٥٣٥

اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا، كَمَا عَصَوْهُ بِاسْتِهْزَائِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ. **فَقَدْ أَتَيْتُمْ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ نَحْوَ الَّذِي أَتَوْهُ مِنْهَا، فَأَنْتُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ فِي رُكُوبِكُمْ مَعْصِيَةَ اللهِ،** وَإِتْيَانِكُمْ مَا نَهَاكُمُ اللهُ عَنْهُ" [١].

١٤) الْمَدَارِسُ الَّتِي تُخَرِّجُ الطَّلَبَةَ كُفَّارًا أَصْلِيِّينَ [٢].

مدارس الطاغوت في هذا الزمان هي دُور مَسالخ الفطرة السليمة، وترسيخ مَبادِئ الطاغوت العصري والوثن القومي الذي هو الدِّيانة الديمقراطية كما جاء في ميثاق حقوق الإنسان [٣]، بالإضافة للمُكَفِّرات الأُخرى كالوقوف للعَلَم -الذي هو شعار الديانة الوطنية- قنوتًا وتعظيمًا له، والاحتفال بالأعياد الوطنية، وتعظيم الطواغيت العلمانية والخضوع لنظام المُؤَسَّسَات الطاغوتية والجلوس في مجالس دراسة مناهج الكُفْر في مدارس الطاغوت دون إنكار أو قيام، والتربية على أصول الكُفْر ومَسْخ عقيدة الولاء والبراء، فإنَّ لهذه المَدارس آثارًا في غاية السوء على الذُّرِّيَّة مِنْ سَلْخ للفطرة وانحلال للأخلاق والتَّشَبُّع بالمَبادئ الديمقراطية والمَدنية وطمس للهوية الإسلامية وحث على الاندماج في هذه المُجتمعات الجاهلية؛ حيث أنَّ التعليم يَغرِس فيهم حب الوطن والخضوع لقوانينه، وموالاة المُشركين ومَحبتهم، ومُعاداة المُؤمنين وتشويههم، لسنين متوالية، وهذا كفيل بزرع هذه المَبادئ، وتخريج التلاميذ على مبادئ حقوق الإنسان والدين الوضعي الجديد.

---

[١] تفسير الطبري (٩/٣١٢)

[٢] انظر: رسالة "مدارس الطاغوت" للمؤلف

[٣] المادة ٢٦:

١) **لكلِّ شخص حقٌّ في التعليم. ويجب أنْ يُوفَّر التعليمُ مجَّانًا،** على الأقل في مرحلتيه الابتدائية والأساسية. ويكون التعليم الابتدائي إلزاميًّا. ويكون التعليمُ الفني والمِهني مُتاحًا للعموم. ويكون التعليم العالي مُتاحًا للجميع تبعًا لكفاءتهم.

٢) **يجب أنْ يَستهدِف التعليم التنمية الكاملة لشخصية الإنسان وتعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية.** كما يجب أنْ **يُعزِّز التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الأمم وجميع الفئات العنصرية أو الدينية،** وأنْ يُؤيِّد الأنشطة التي تضطلع بها الأمم المُتحدة لحفظ السلام.

وَمَا هَذِهِ الْمُكَفِّرَاتُ إِلَّا غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ وَحَبَّةٌ مِنْ فَلَاةٍ... وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: كَيْفَ نَعْرِفُ الْمُسْلِمَ فِي هَذِهِ الْأَقْوَامِ؟

فَقُلْ: الظاهر المُعتبَر للحُكْم بالإسلام هو إظهار مُخالَفة ما عليه القوم مِنْ كُفْر وشرك والبراءة مِنْ هذه الشعوب والأقوام؛ والدليل القطعي مِنْ كتاب الله على أنَّ الظاهر المُعتبَر في دُور الكُفْر هو إظهار مُخالَفة ما عليه القوم مِنْ كُفْر وشرك: هو الظاهر الذي أَتَت به القلة المُؤمنة مِنَ الرسل وأتباعهم بَيْن الأقوام المُشركة، فعن الرَّبيع بن أنس، عن أبي العالية، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]: "نُوحٌ وَهودٌ وَإِبْرَاهِيمُ؛ أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَصْبِرَ كَمَا صَبَرَ هَؤُلَاءِ فَكَانُوا ثَلَاثَةً، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ رَابِعُهُمْ، قَالَ نُوحٌ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٧١] إِلَى آخِرِهَا، **فَأَظْهَرَ لَهُمُ الْمُفَارَقَةَ**، وَقَالَ هُودٌ حِينَ قَالُوا: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: ٥٤] الْآيَةَ، **فَأَظْهَرَ لَهُمُ الْمُفَارَقَةَ**، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، **فَأَظْهَرَ لَهُمُ الْمُفَارَقَةَ**، وَقَالَ مُحَمَّدٌ: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٦]، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ الْكَعْبَةِ يَقْرَؤُهَا عَلَى الْمُشْرِكِينَ **فَأَظْهَرَ لَهُمُ الْمُفَارَقَةَ**"[١].

فمَنْ أَظْهَر المُخالَفة لدين قومه في مثل هذه الديار وبَيْن هؤلاء الأقوام يُحكَم له بالإسلام، أمَّا مَنْ كان مُستخفِيًا بدينه فيَجْرِي عليه ما يَجْرِي على الكَثْرة؛ لعدم إظهاره للظاهر الذي يَتَعَلَّق به الحُكْم. **ويدل على ذلك، إجماع الصحابة** في دُوْر الرِّدَّة بعد وفاة النبي ﷺ، حيث أنَّهم لم يَعتبِروا شهادة أنْ لا إله إلا الله والصلاة والصيام والأذان وغيرها مِنَ الشعائر في هذه الدُور، ونَفْس الدليل الذي يَستدِل به مَنْ يَحْكُم بالشعائر استَدَل به أبو بكر على عدم اعتبار الشعائر في مثل هذه الدُور وأجرى عليهم أحكام الكفار، فعن أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ

[١] السنن الكبرى للبيهقي برقم ١٧٧٣٣

النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا **شَهِدُوا وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَأَكَلُوا ذَبِيحَتَنَا، وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا**، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ **إِلَّا بِحَقِّهَا**، لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ» [١]. فقد استدَل أبو بكر بقوله "إِلَّا بِحَقِّهَا"، فقَالَ: "وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ؛ **فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ**، وَاللهِ إِنْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ" [٢]. والذي استقَر عليه إجماع الصحابة: التكفير والقتال وعدم اعتبار ظاهر الشهادة والشعائر في مثل هذه الدُور، وحكى الإجماع أبو عبيد القاسم بن سلَّام في سياق استدلاله أنَّ العمل رُكن في الإيمان، فقال: "وَالْمُصَدِّقُ لِهَذَا جِهَادُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى مَنْعِ الْعَرَبِ الزَّكَاةَ كَجِهَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَهْلَ الشِّرْكِ سَوَاءً، لَا فَرْقَ بَيْنَهَا فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَسَبْيِ الذُّرِّيَّةِ، وَاغْتِنَامِ الْمَالِ، فَإِنَّمَا كَانُوا مَانِعِينَ لَهَا غَيْرَ جَاحِدِينَ بِهَا" [٣].

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُقِيمَنَا عَلَى الْمِلَّةِ الْغَرَّاءِ وَيُثَبِّتَنَا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ حَتَّى نَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ



[١] رواه أحمد برقم ١٣٠٥٦، وإسناده صحيح

[٢] رواه البخاري برقم ١٤٠٠، ومسلم برقم ٢٠

[٣] الإيمان (١٧/١)